تعليق على الرسالة البغدادية

الدكتور إحسان النص

ذهب الباحث الفاضل الدكتور عبد الكريم حسين إلى أن الرسالة البغدادية التي حققها ونشرها الأستاذ عبّود الشالجي، رحمه الله، ليست لأبي حيّان التوحيدي، خلافاً لما ذهب إليه الأستاذ الشالجي.

وقد عرض الدكتور عبد الكريم جملة من الأدلة التي تدفع نسبة الرسالة إلى أبي حيان، والأستاذ الباحث مشكور لما بذل من جهد في تحقيقه نسبة هذه الرسالة.

وقد رجعت إلى نص الرسالة التي نشرها الأستاذ الشالجي ونظرت في الأدلّة التي سوّغ بها نسبة الرسالة إلى التوحيدي، وحين ميّلت بين الرأيين اتجهت إلى موافقة الشالجي في رأيه، بيد أنني لم أقطع بيقين فيما بدا لي.

ومسوّغات نسبتها إلى أبي حيّان تتلخص فيما يأتي:

١– ورود ذكر الرسالة البغدادية في جملة مؤلفات التوحيدي التي ذكرها ياقوت في معجم الأدباء، ولم تصل إلينا من مؤلفات التوحيدي رسالة بهذا العنوان غير الرسالة التي حققها الشالجي والتي تحمل في الأصل عنوان: حكاية أبي القاسم البغدادي.

٢– ورود نقول بنصها في الرسالة البغدادية في مؤلفات التوحيدي التي انتهت إلينا ومنها: الإمتاع والمؤانسة، وأخلاق الوزيرين، والبصائر والذخائر.

٣– نسبت الرسالة إلى أبي المطرّف الأزدي، ولم نقع على ترجمة لهذا

الرجل في أي من كتب التراجم، ولا ندري إن كان له وجود حقيقي أو أنه شخص اخترعه المؤلف.

٤- الرسالة تروي حكاية أبي القاسم التميمي البغدادي، ويذكر أبو حيان في (البصائر والذخائر) أنه لقي هذا الرجل حين قدم بغداد مع عضد الدولة، ونعته بسعة المعرفة ولكنه معروف بالكذب والخسّة. فشخصية أبي القاسم هذا حقيقية وليست من اختراع المؤلف، واجتماع أبي حيان به يرجِّح ترجيحاً قوياً أن الرسالة من تأليفه.

٥- لم يشأ أبو حيان نسبة الرسالة إلى نفسه لما احتوت عليه من ألفاظ فاحشة وصور نابية، تجنباً لما قد يُوجه إليه من اللوم، مع أن الرسالة مروية على لسان أبي القاسم البغدادي، فآثر أن يتوارى وراء اسم المؤلف أبي المطرّف، ولاسيما أن أبا حيان كان يجالس الوزراء والكبراء. وهذا يشبه صنيع بديع الزمان الهمذاني في مقاماته، إذ اخترع اسم راويها عيسى بن هشام وبطلها أبي الفتح الإسكندري.